خطبة جمعة بعنوان

[تحذير الناس خطر اقتراف كبيرة الضرائب الجالبة للإفلاس]

*فضيلة الشيخ العلامة
أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

الجمعة 3 ربيع الثاني 1444هجرية
مسجد إبراهيم _ شحوح _ سيئون

فرغها/ أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: فإن الله عز وجل حذرنا من الفتن بشتى أنواعها، وعديد أصنافها، وتركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، حذرنا ربنا سبحانه وتعالى منها في كتابه، وحذرنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ومما حذرنا منه فتنة المال ، فقال سبحانه وتعالى :{أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}[الأنفال:28].

والمعنى في ذلك أنه فتنة باكتسابه، قد يُكتسب من غير ما أحل الله، وأنه فتنة في أدائه، وأنه فتنة بالاعجاب به، وأنه فتنة في عديد من مراحله وأحواله، إلا من رحم الله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنّ لكلّ أمّةٍ فتنةً وفتنَةُ أمّتي : المالُ"؛رواه الترمذي(2336) عن كعب بن عياض رضي الله عنه.

وهو على ذلك المعنى، وقال عليه الصلاة والسلام:"ما ذِئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غنَمٍ ، بأفسدَ لها من حِرصِ المَرءِ على المالِ والشّرَفِ لدينِهِ"؛ أخرجه الترمذي (2376)، وأحمد (15794) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

ومعنى ذلك أن المال قد يفسد دينك، فإن حرصت عليه من حرام أو من غير حله فسد دينك، وإن اكتسبته ولو من حلال ولا متأديا حق الله فيه فسد دينك، وصار ذلك المال عذابا عليك يوم القيامة، كما في حديث أبي هريرة عند قول الله عز وجل:{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[آل عمران:180]

فيأتيه شجاع أقرع له زبيبتان أي قرنان، والأقرع الذي قد تقشع شعر رأسه من شدة السم وكبر في الزمان فيطوقه أي على عنقه، ويأخذ بلهزمتيه، ويقول ليخاطبه : أنا كنزك أنا مالك، هذا كله من الفتنة، سواء من الفتنة عند اكتسابه أو عند أدائه أو حال من أحواله، وإن من الفتن له أخذ المال حرام البين الواضح، ففي الصحيحين عن النعمان رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنّ الحلالَ بيّنٌ وإنّ الحرامَ بيّنٌ وبينهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس فمنِ اتّقى الشُّبُهاتِ استبرأ لدِينِه وعِرضِه. هذا الذي يتقي الشبهات:" ومن وقع في الشبهات وقع

وقع في الحرام.

حذرنا رسول الله صلى الله عليه من الشبهات، فضلا عن التجرأ على ما حرم الله بيناً، فإن انتهاك المحرم جريمة عظيمة في جناب الله سبحانه وتعالى، كبيرة من كبائر الذنوب، تجرأ الناس عليها حتى اعتبروها كحلال زلال، قل منكروها، قل من يكتب فيها، مع وضوح حرمتها، ومع بيان جرمتها، وهي كبيرة المكوس، المكوس هي الضرائب، هي الجمارك، هي الرسوم التي يسمونها الرسوم، عند إصلاح جواز، إصلاح إقامة، إصلاح كذا، عند مرور من يمر في منفذ من المنافذ أخذ ضريبة، أخذ جمرك ، فترى أصحاب الناقلات والسيارات والحمولات والبضائع والتجارات في عناء شديد في الطرقات، كل واحد يسلبه، هذا يسلب، وهذا يسلب، هذا يسلب، فلا يصل إلا وقد بذل من أمواله بغير القليلة أو الكثير بل الكثير، بأي حق هذا؟ بأي حق هذه الضرائب ؟ بأي حق

هذه المكوس؟ بأي حق هذه المسميات ؟ وربنا يقول :{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ }[البقرة:188].

هذه أكل اموال الناس بالباطل، روى مسلم في صحيحه(1695) عن بريدة رضي الله عنه، أن النبي صلى عليه وسلم عظم المكوس تعظيما شديدا إذ

جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِن غَامِدٍ مِنَ الأزْدِ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقالَ: وَيْحَكِ! ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إلَيْهِ، فَقالَتْ: أرَاكَ تُرِيدُ أنْ تُرَدِّدَنِي كما رَدَدْتَ مَاعِزَ بنَ مَالِكٍ، قالَ: وَما ذَاكِ؟ قالَتْ: إنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فَقالَ:

فقال لوليها اذهب بها فإذا ولدت فأتني بها، فؤتي بها ولها صبي صغير وقد أخذ بيده كسرى ،قالت : إنه قد فطم، لأنه رد في حالة صغره، وإنه صار يأكل الطعام، فأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم فحفر لها حفرة إلى الصدر، وأمر الناس أن يرجموها، فكان ممن رجمها خالد بن الوليد رضي الله عنه، أخذ حجرا فرماها فوقع الحجر في رأسها فطار الدم عليه، دم المرأة طار على خالد رضي الله عنه، فسبها خالد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: مهلا يا خالد والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له.

عند هذا الحديث عظّم أهل العلم المكس، واعتبروه جريمة عظيمة كبيرة عظيمة، أن كبيرة الوقوع في المكوس، في الضرائب، أعظم من كبيرة الزنا بحيث أنها لو ارتكبت هذه جريمة المكوس بعد توبتها لغفر لها، فكيف وذلك أدنى، الزنا أدنى وأهون من كبيرة المكوس، لو تابها صاحب مكس لغفر له، ونظير هذا الحديث توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحاب المكوس بالنار، فقد ثبت لغيره عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، عند ابن خزيمة، وابن الجارود، وأبي داود، وأحمد ،وآخرين، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يَدْخُلُ الجنةَ صاحِبُ مَكْسٍ.

وشاهده عن روفيع بن ثابت رضي الله عنه، وحديث بريدة وجملة أحاديث، لا يدخل الجنة صاحب مكس، والمكاس هو العشار، الذي يأخذ المكوس على البيع والشراء وبغير حق وما إلى ذاك، تبيع شيء دفع عليه نقود، تحمل شيء إلى مكانك تحمل في الطرقات تدفع عليه نقود، وهكذا أموال تؤكل بغير حقها، ظلم واضح، جهل فاضح، ما عذرهم أمام الله سبحانه وتعالى ؟ وثبت عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، عند الطبراني في الأوسط(3/154)

، وهو في الصحيحة (1073) الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ. أي الثلث الأخير من بعد نصف الليل، فَيُنَادِي مُنَادٍ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى ؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ ؟ فَلا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ إِلا زَانِيَةٌ تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارٌ.

أي مكاس صاحب مكس، يسمى المكوس والعشور، هذا وعيد عظيم أنه لا يستجاب له في وقت يستجاب لغيره من المسلمين، تُرفع دعوات فيستجيبها الله ، والمكاس لا يُستجاب له، لماذا ؟ لأنه أكل مالا حراما، مالا بغير حق، ظالم ظلم غيره، ظلم المسلمين، وروى مسلم في صحيحه(1015) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنّ اللهَ طيّبٌ لا يَقْبَلُ إلّا طيّبًا، وإنّ اللهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: {يَا أيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]، وقالَ: {يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]، ثُمّ ذَكَرَ الرّجُلَ يُطِيلُ السّفَرَ. والسفر من أسباب الإجابة، أشْعَثَ أغْبَرَ. وهذه الحالة من أسباب الإجابة، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السّماءِ. وهذا من أسباب الإجابة، إنّ اللهَ حيِيٌّ كريمٌ يستحي إذا رفعَ الرّجلُ إليْهِ يديْهِ أن يردّهما صفرًا خائبتين. يمد يديه إلى السماء. يا رَبِّ، يا رَبِّ. وهذا من أسباب الاستجابة الإلحاح وسؤال الله عز وجل بربوبيته، والتوسل إليه باسم من أسماءه، ولله الأسماء الحسنى فدعوه بها، أربعة أوصاف من أسباب الإجابة

يبذلها هذا الداعي، ولا يُستجاب له، يارب يارب ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!

ومعناه استبعاد أن يُستجاب لهذا حتى وإن بذل أسباب الإجابة، سواء كان ذلك في الثلث الأخير من الليل، أو كان ذلك برفع اليدين، أو بالالحاح، وسؤال الله بأسمائه وصفاته، أو في حالة سفر ،أو في حالة هو في مسكنة وضعف، وكل ذلك ودعاؤه ممنوع الإجابة ، هذا يدل على عظم ما يرتكبه آكل المال الحرام، مانعا لإجابة رب العالمين له، بل إن ذلك مما يسبب إجابة الله سبحانه دعاء المسلمين عليه، فلو دعا عليه مظلوم أخذ بعض ماله لهلك بسبب ذلك إلا أن يتداركه الله برحمة، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم حيـن بعثه إلى اليمن قال:" إنّكَ سَتَأْتي قَوْمًا أهْلَ كِتَابٍ، فَإذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلّا اللّهُ، وأنّ مُحَمّدًا رَسولُ اللّهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنّ اللّهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنّ اللّهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فَإيّاكَ وكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنّه ليسَ بيْنَهُ وبيْنَ اللّهِ حِجَابٌ.أخرجه البخاري (1496) واللفظ له، ومسلم (19).

ومعنى ذلك أنك إن أخذت الزكاة منهم وهي واجبة ومع ذلك لو انتقى الكريمة الجميلة من ماله وقال : أنا أريد هذه الشاة الجميلة هي الزكاة، أو هذا البعير هو الزكاة، أو هذا العجل هو الزكاة، أحسن ما يحب هذا صاحب المواشي لكان ظالم له، هذا وهو بصورة أخذ زكاة إنما أخذ عليه ما هو أحسن أمواله، كيف إذا أخذه ظلما واضحا؟ قد يصيبه بدعوة تشقيه، رب دعوة تشقي إنسان، تفتح لها أبواب السماء، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

أيها المسلمون: ما هذه الغفلة؟ كبيرة من كبائر الذنوب المكوس، الضرائب، حتى إن الشعراء كانوا يتألمون من ذلك في الأزمنة الماضية

فزهير يقول : وفي كلّ أسْوَاقِ العِرَاقِ إتاوَةٌ ***وفي كلّ ما بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمَ***

أي كل ما بعت شيء في العراق تدفع على كل ما بعتها يعني شيء درهم أو أكثر أو أقل مكوسا، ضرائب ضريبة، يسمونها ضريبة، وهي ما يأخذها أعوان الظلمة على البيع والشراء والسلع وما كان من ذلك بغير حق، هذه أشياء واضحة التحذير، يكفي فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم "واللهِ لا يَأخُذُ أحَدٌ مِنكم شيئًا بغيرِ حَقِّهِ إلّا لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُهُ يَومَ القِيَامَةِ.

البخاري (6979)، ومسلم (1832)

فأنبوني أيها الآخذون لهذا الأموال ما حقكم فيها، هل تعبتم، هل عملتم، هل تاجرتم، هل سعيتم، ما السبب في أخذ هذه الضرائب، وهذه المكوس، ما السبب فيها، ما الذي أحلها لكم

شرعا:"واللهِ لا يَأخُذُ أحَدٌ مِنكم شيئًا بغيرِ حَقِّهِ إلّا لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُهُ يَومَ القِيَامَةِ، فَلَأعْرِفَنّ أحَدًا مِنكم لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا له رُغَاءٌ، أوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أوْ شَاةً تَيْعَرُ.جاء في بعضها يقول : يا محمد أي يطلب منه الشفاعة فيقول : قد أبلغتك، قال : ثُمّ رَفَعَ النبي صلى الله عليه وسلم يَدَهُ حتّى رُئِيَ بَيَاضُ إبْطِهِ، يقولُ: اللهُمّ هلْ بَلّغْتُ بَصُرَ عَيْنِي وسَمْعَ أُذُنِي.

نعم بلغ وأعلمنا أنه لا يأخذ أحدكم شيئا بغير حقه، أي بغير سبب شرعي يبيح هذا الأخذ، أن يكون المال حالا لك من هذا الشيء، لا بسرقة، لا بنصب، لا بختلاس، لا بضريبة، لا بجمرك، لا بشيء من ذلك، النهب والسلب الذي فشى في المسلمين بما يخشى عليهم بسببه من عقاب رب العالمين سبحانه وتعالى.

أنت لا تفرح بالمال، إن بعض الناس لضعف عقله وتراكم جهله يظن أن المال هو كل شيء لا، المال إن كان من حلال وأعطيت فيه حق الله

كان لك، وإن كان من حرام أو لم تؤدي فيه حق الله كنت له ضحيته، كنت عبدا من عبيد المال، ففي البخاري(2887)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" تعس عبد الدرهم.

ترضى أن تكون عبد ريال، أنت عبد لله أو عبد فلوس؟

قال عليه الصلاة والسلام:"تعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ.

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتراكم عليه، بالتعاسة، بالانتكاس، والله ما هو في عافية ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عليه، وأنه يأخذ المال من غير حله، يعرض نفسه لعذاب الله، لا تفرح بلحمك إذا نبت هذا اللحم من حرام لا تفرح به وتتبجح بجمالك ومالك لا تفرح، أنت الآن تربي لك لحم جهنم، إذا كان يغذو بالحرام فهو لحم لجهنم، فقد ثبت عن جابر وكعب بن عجرة ،أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يا كعبُ بنَ عُجْرةَ إنّه لا يدخُلُ الجنّةَ لحمٌ ودمٌ نبَتا على سُحتٍ النّارُ أوْلى به.

الخبيث للخبيث، لحم نبت من خبث فهو للنار، تصفيه النار تأكله النار، لحم نبت من حرام، وفي الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن الناس لما رجعوا من خيبر جعلوا يقولون: فلان شهيد ،وفلان شهيد، وفلان شهيد، حتى ذكروا رجلا، فقالوا وفلان شهيد، فقال النبي صلى الله: كلا إنه في النار، شملة غلها أو عباءة في النار بسبب شيء أخذه بغير حقه، وهذا شيء ما هو عظيم، وهو ما أخذ شيئا عظيما من الناس بالمليون بالآلوف بالملايين لا، شملة أو عباءة شيء يسير قد لا يعبه له ، لكن حقوق الناس عظيمة، حقوق المسلمين عظيمة ،وأعظم من هذا ما ثبت في صحيح مسلم(137) عن أبي أمامة الحارثي رضي الله عنه، أن النبي صلى الله وسلم قال:"مَنِ اقْتَطَعَ حَقّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بيَمِينِهِ، فقَدْ أوْجَبَ اللّهُ له النّارَ، وَحَرّمَ عليه الجَنّةَ. أي حلف عليه أنه بماله وليس بماله، فَقالَ له رَجُلٌ: وإنْ كانَ شيئًا يَسِيرًا يا رَسُولَ اللّهِ؟ قالَ:

وإنْ قضِيبًا مِن أرَاكٍ.

هذا تأمل يا أخي مسواك يأخذه بغير حقه ظلم ظلم، يأخذه ما أخذ ملايين ما أخذ تلك المبالغ على الناس، ما أخذ ضرائب على علب الصلصة والبزالية والمعلبات وكذلك المأكولات والمطعومات والمخبوزات والمصنوعات، كل شيء ضرائب بغير حق، ما أخذ هذا ، وإنما أخذها بغير حق، وإن كان شيئا يسيرا؟ قال: وإن كان قضيبا من أراك، أوجب الله له به النار حرم عليه الجنة، إن هذا إفلاس والله، المال الحرام إفلاس دنيوي وأخروي عاجلا وأجلا، لا يفرح به إلا ضعيف العقل،{قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)}[المائدة:100].

راجعوا أنفسكم، لا تنظر إلى الأرصدة انظر إلى من أين هذا ؟ أما الأرصدة الخيالية فإنها عقاب يوم القيامة ونار،{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10) } [النساء:10].

لماذا ؟ أكل مال بغير حق، فلهذا صار نار عليه يوم القيامة، وفي صحيح البخاري(7169) عن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنّما أنا بَشَرٌ وإنّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيّ، ولَعَلّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكونَ ألْحَنَ بحُجّتِهِ مِن بَعْضٍ، فأقْضِي علَى نَحْوِ ما أسْمَعُ.

إما أن يأتي مثلا أحدكم ببلاغة يؤثر بها على أخيه فيأخذ ماله، أو في هذه الأزمنة مثلا كذلك يأتي بشهود زور، أو غير ذلك، "فأقْضِي علَى نَحْوِ ما أسْمَعُ، فمَن قُضَيْتُ له مِن حَقِّ أخِيهِ شيئًا، فلا يَأْخُذْهُ فإنّما أقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النّارِ.

حتى وإن أخذتها من أمام القاضي بغير حق وتعلم أنه بغير حق أنت ما أخذت ما تتنعم به، أخذت ما تتعذب به وتحرق به، أخذت ما تحرق به، أقطع له قطعة من النار، أين المراقبة لله سبحانه وتعالى في هذه الأموال التي تؤخذ هي فتنة،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا

أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ } عن العمل به، عن الاستمساك به، عن تطبيق الكتاب والسنة، لا تلهى عن ذلك، فإذا لهوت بمال وجمعته من أي شيء من ذلك فاعلم أن هذه خسارة، إذا كان من حرام، حتى ولو من شبهة خطر يجرك إلى الحرام، قال :{وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9)}[المنافقون:9]

أترضى لنفسك بالخسارة، هل أنت الآن رابح ؟ يا أيها المرصد للأموال رابح الآن أم خاسر؟ الله قد حكم بالخسارة على هذا الصنف، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون، فخسارة فادحة، روى البخاري في صحيحه(3118) عن خولة الأنصارية رضي الله عنها، أن النبي صلى الله وسلم قال:"إنّ رِجَالًا يَتَخَوّضُونَ في مَالِ اللهِ بغيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النّارُ يَومَ القِيَامَةِ.

والتخوض فيه إما باكتسابه بباطل، أو بالخوض فيه بغير حق، ولا يكون ناجيا إلا إذا اكتسبه من حلال وخاض فيه بحلال، وأما ما عدا ذلك فإن أي تخوض في المال طلبا أو أخذا أو أداء في غير موضعه أو غير ذلك هذه عرضة للنار، هذا كله يجعلك أيها المسلم حذرا ألا تفرح بالمال على إطلاقه، وإنما تفرح بما يسر الله من حلال قل أو كثر البركة فيه، والنجاة من الفتن فيه، ولحمك ينبت على حلال ويكون طيبا ودعاؤك مجاب وأنت في خير في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه يرضاه، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه، أما بعد أيها الناس: أخرج مسلم في صحيحه(2581) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أتدرون من المفلس؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، هذا هو الإفلاس المذكور في كتب الفقه، قال : إن المفلس فنقلهم عن هذا إلى أشد الإفلاس، لم ينفي هذا لكن نقلهم إلى أعظم والأفضع والأشد والأضر، إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، أعمال صالحة عظيمة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا ،وضرب هذا، وسفك دم هذا، وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته، ولهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار.

ما الفائدة في هذه الدنيا من حياة عاقبتها النار بسبب الإفلاس؟ ومن أشد الإفلاس أكل أموال الناس، أخذ أموال الناس، ما الفائدة، هل هذا ربح الآن ؟ الله قد قال في كتابه:{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (11)} [الليل:11].

ما الذي يستفيده من ماله إذا صار في هذا الردى، تردى، عرض نفسه لعذاب الله، الله قال في كتابه عن أبي لهب:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5)}[المسد:1،5].

ما الذي نفعه مال به؟ ما انتفع منه بشيء، يا عبد الله إنما ينفعك مالك بطاعة الله، أو إذا كنت على طاعة الله مال حلال، مع التقى، مع الهدى، مع التوحيد، مع السنة، مع مرضاة الله سبحانه ، قال الله جل وعلا : {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى}

أبد ولا يقربك عند الله خطوة واحدة، {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37)}[سبإ:37].

فمن عمل صالحا انتفع بماله الحلال وتسييره في الحلال، وأداء حق الله فيه، ومن لم يعمل صالحا والله لا مال ولا ولد ينفعه،{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91)}[الشعراء:88،91] الآية...

لا ينفع، وفي صحيح مسلم(2582) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة. هذا عليك دين، أنت مؤدي أموال الناس، يا صاحب النقطة في الطريق أو غير ذلك، السلاب النهاب أنت مؤدي أموال الناس يوم القيامة من حسناتك، "لَتُؤَدُنّ الحُقُوقَ إلى أهْلِها يَومَ القِيامَةِ، حتّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشّاةِ القَرْناءِ.

ناطحة ومنطوحة، ذات قرون وواحدة ما عندها قرون تنطحها، وإذا يوم القيامة تؤدي حق ذلك الحق، وهي ما عليها ما هي مكلفة، أما أنت ستؤدي الحقوق من حسناتك، كما دل عليه خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الإفلاس، حقوق الأعراض، حقوق الأموال، حقوق الدماء، كل هذه الحقوق ، خطب النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم موقف في حجة الوداع بمنى فكان مما قاله:" أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام، وهكذا يقال وذكرهم بيوم حرام وشهر حرام وبلد حرام ثم قال:" إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهر كم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم ألا هل بلغت؟ اللّهم فاشهد، هذه كلها تذكرك أيها المسلم بالخيبة التي يسعى فيها بعض الناس ظانا أنه بذلك يربح ويسعد، هذه كلها مفاهيم خاطئة وجب إنكار ذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، فوالله إن هذا لمن النصح، كما أوجب الله عز وجل على عباده، وهكذا رسله، ما من واحد منهم إلا وكان أنصح الناس للناس، "الدِّينُ النَّصِيحَةُ.

قُلنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأئِمّةِ المُسْلِمِينَ وعامّتِهِمْ. أخرجه مسلم(55)عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه.

هذا ونتواصى بتقوى الله، نسأل الله جل وعلا أن يدفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، والحمد لله.